الإسرائيليات
في كتب التفسير الأسباب والآثار

دكتور: عماد عطية عبد الرازق

من ١٣٣١ إلى ١٣٦٤

ملخص بحث
الإسرائيليات في كتب التفسير الأسباب والآثار

لا شك أن القرآن الكريم قد اعتمدت علاقته بالتوراة والإنجيل على التصديق تارة والهمينة تارة أخرى، ومعنى تصديقُه أنه يُقرُّ بقايا الوحي الصحيح فيهما، لكنه في الوقت ذاته يُنكر تحريفاتهما، فهو تصديق في" أصول العقائد التي اتفقت عليها الكتب السماوية، ودعت إليها الرسل "، وذلك مثل دعوة الناس إلى التوحيد وإقامة الدين والتحذير من الشرك وخطره.

أما تفصيلات الشرائع والأحكام العملية فإن القرآن الكريم يتباين في طرحه مع الكتب السماوية السابقة عليه، نظراً لاختلاف الظرف الزماني والمكاني.

وأرى أن سرّ هذه الهيمنة يَكمُن في تأسيس القرآن الكريم للمنهج التشريعي والأخلاقي الراقي الذي يحوي مضامين قيمية وأخلاقية لا تقصي الكتب السماوية السابقة ولا تلغيها، وإنما تُقوِّم ما اعتراها من خلل، وتجبر ما أصابها من نقص، وأيضاً تقرر كامل الحقوق والواجبات لأصحابها في إطار الحق الذي تُقرّه والباطل الذي ترفضه.

وأحب التأكيد على أن الهيمنة القرآنية لا تظهر في كشف عوار الكتب السابقة بعد تحريفها من الناحية العقدية فحسب؛ بل من الناحية التشريعية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، وفي الوقت ذاته تعلن التصديق لما فيها من حق.

summary

Israeli books explain causes and effects

There is no doubt that the Quran had adopted his connection to the Torah and the Gospel to ratify at Dominate at other times, meaning that the correct revelation remains believable, but at the same time denying their changes ، It is believe in "the origins of creeds agreed by the heavenly books, called the Apostles", such as inviting people to standardization and establishment of religion and warning against shirk and dangerous.

Either the details of divine judgments, the Qur'an vary in scarves with heavenly books earlier, given the different temporal and spatial envelope.

I believe that the mystery of this hegemony lies in establishing Qur'an legislative approach and high moral value and ethical content containing no truth divinely past cancel, but are marred by imbalance and lack of force, also decides the entire rights and obligations of the owners within the By right and wrong which reject it.

And I like to assert that the Quranic domination does not appear in the earlier books Awar revealed after distorted nodal hand; legislative and ethical and social and other, at the same time Announces certification of its right.

تمهيد

لا شك أن القرآن الكريم قد اعتمدت علاقته بالتوراة والإنجيل على التصديق تارة والهمينة تارة أخرى، ومعنى تصديقُه أنه يُقرُّ بقايا الوحي الصحيح فيهما، لكنه في الوقت ذاته يُنكر تحريفاتهما، قال تعالى:﴿ الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾{سورة آل عمران: ١ – ٤}، فهو تصديق في" أصول العقائد التي اتفقت عليها الكتب السماوية، ودعت إليها الرسل "[١]، وذلك مثل دعوة الناس إلى التوحيد وإقامة الدين والتحذير من الشرك وخطره، كما قال تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾{سورة الشورى: ١٣}.

أما تفصيلات الشرائع والأحكام العملية فإن القرآن الكريم يتباين في طرحه مع الكتب السماوية السابقة عليه، نظراً لاختلاف الظرف الزماني والمكاني، قال تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ {سورة المائدة: ٤٨}.

وعن هيمنة القرآن الكريم على ما عداه من الكتب قال تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾{سورة المائدة: ٤٨}، والمعنى أنه" أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، فهو آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جُمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما

١ رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم بدمشق، ط١، ١٩٧٠، ص ٢٧.

ليس في غيره، فلهذا جعله الله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها "[١]، لذا فإن مفهوم الهيمنة أوسع وأشمل من مفهوم التصديق، لكن العلاقة بينهما علاقة تكاملية.

وفي هذا يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: " إنَّ القرآن الكريم قد أشار إلى حالتين بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع مقرر لها، من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق، أي محقق ومقرر، وهو أيضًا مُبطل لبعض ما في الشرائع السابقة وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة، مُراعى فيها أحكام أقوام خاصة"[٢].

وأرى أن سرّ هذه الهيمنة يَكمُن في تأسيس القرآن الكريم للمنهج التشريعي والأخلاقي الراقي الذي يحوي مضامين قيمية وأخلاقية لا تقصي الكتب السماوية السابقة ولا تلغيها، وإنما تُقوِّم ما اعتراها من خلل، وتجبر ما أصابها من نقص، وأيضاً تقرر كامل الحقوق والواجبات لأصحابها في إطار الحق الذي تُقرّه والباطل الذي ترفضه.

ومن مهمات الهيمنة القرآنية ما يلي:

- التشنيع على من حرّف التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ

---

١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ج٣، ص ١٢٨، وأضاف الشيخ الذهبي في معنى الهيمنة أن القرآن " حارس ورقيب على كل ما جاء في الكتب السابقة، ومفهوم الرقابة والحراسة أتم وأشمل من مفهوم التصديق" راجع د. محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦، ص١٠.

٢ الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤،ج ٦، ص ٢٢١.

مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ {سورة البقرة: ٧٩}، فالويل للذين كتبوها بأيديهم ثم نسبوها إلى الله تعالى زورًا وبهتانًا طامعين في متاع الدنيا الزائل.

- تنزيه الله تعالى من الصفات التي نُسبت له كذباً وافتراءً، ففي العهد القديم نصٌ يقول:" فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا "[١]، ومعناه أنه – تعالى عما يقولون– بعد ما خلق السماوات والأرض في ستة أيام أعياه التعب فاستراح في اليوم السابع، لكن بالبحث في العهد القديم وجدنا في سفر أشعيا نص يتعارض تماماً مع النص السابق" إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا"[٢].

والتناقض بين النصّين يثبت جهل كُتّاب العهد القديم والتحريف الواضح فيه[٣]، فلا ندري أنصدّق الفقرة التي تصف الإله بالتعب، أم الأخرى التي تنفي عنه هذه الصفة؟

إننا نقف مع قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب﴾ {سورة ق: ٣٨}، الذي يُكذّب فيه اليهود فلا يجدر بنا إلا أن نصدقه، وإذا ضممنا إليه قوله:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

١ سفر التكوين: [٢:١– ٣].

٢ سفر أشعيا: [٤٠: ٢٨].

٣ عماد عطية عبد الرازق، الأيام المقدسة في الديانات السماوية الثلاث، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، ٢٠١٦، ص ١٦.

وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾{سورة الأحقاف: ٣٣}، لأيقن كل عاقل أن هذه النصوص القرآنية ناطقة بالصدق الذي كاد أن يندثر في الكتب السابقة التي استحفظ عليها الرهبان، ولظهر بجلاء معنى هيمنة القرآن الكريم عليها.

وأحب التأكيد على أن الهيمنة القرآنية لا تظهر في كشف عوار الكتب السابقة بعد تحريفها من الناحية العقدية فحسب؛ بل من الناحية التشريعية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، وفي الوقت ذاته تعلن التصديق لما فيها من حق.

المبحث الأول: مفهوم الإسرائيليات .

إذا كان القرآن الكريم مصدقًا للحق الذي جاء في التوراة والإنجيل، فهو أيضاً حاكم عليها بالصحة من عدمها، فإن هذه الكتب طالتها يد التحريف؛ لأن الله تعالى وكل حفظها لأربابها، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾{سورة المائدة: ٤٨}، وما قيل في التوراة ينسحب على الإنجيل أيضاً، بينما تَكفّل الله تعالى بحفظ كتابه؛ حيث حفِظَ مادته من التحريف والضياع، وحفِظَ أيضاً تفسيرُه زمن نزوله، فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب البيان بأمر من الله تعالى" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"{سورة النحل: ٤٤}، وكان الصحابة رضي الله عنهم بحُكم سَلِيقَتِهم العربية يكتفون ببعض التأويلات النبوية، أما بعد موته صلى الله عليه وسلم فقد أصبحت الإسرائيليات إحدى روافد التراث التفسيري للقرآن الكريم، وهذا ما سنوضحه بالتفصيل عند الحديث عن أسباب تسللها لكتب التفسير.

الإسرائيليَّات في اللغة:

من يتصفح المعاجم اللغوية لا يجد مصطلح الإسرائيليَّات، وإنما يجد لفظة إسرائيل، وهو" لقب يعقوب عليه السلام، قيل معناه عبد الله؛ لأن (إيل) اسم من أسماء الله بالسريانية، وقيل صفوة الله، وقيل سر الله، أو لأنه انطلق إلى حاله خشية أن يقتله أخوه عيسو، فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار"[١]، وجاء في لسان العرب أنه اسم، وقيل: يُهْمز ولا يُهْمز، وورد في لغةٍ: إسرائين بالنون"[٢]، والعجيب ورود كلمة إسرائيل في قاموس الكتاب المقدس كاسم عبري بمعنى " يجاهد مع الله، أو الله يصارع"[٣].

الإسرائيليَّات في الاصطلاح:

ترك المتقدمون من العلماء المتأخرين في حيرة إزاء عدم تحديد مفهوم لمصطلح الإسرائيليات، فاجتهد المتأخرون في بيان المعنى، فتعددت آراؤهم إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الإسرائيليات " هي كل ما دخل إلى التراث الإسلامي، وبخاصة في مجال التفسير من روايات لها أصل ومصدر يهودي يمكن الوقوف عليه، وأما ما لم

---

١ أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨، ص ١١٥.

٢ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرا، ج ٧، ٢٠٠٣.

٣ انظر: بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة، القاهرة، طبعة ١٤، ٢٠٠١م، ص ٥١.

نجد له أصلاً في مصادرهم، ولا يقبله العقل أو المنطق وكان من روايات اليهود أو ممن أسلم منهم فهو من باب الخرافات والأساطير"[١].

وهذا الرأي بهذ المفهوم حصر مصدر الإسرائيليات في التراث اليهودي فقط، وهو أيضاً يشير إلى أن توراة اليهود قسمان:

الأول: معقول وهذا لابد من الوقوف عليه لمعرفة قبوله من عدمه.

الثاني: غير معقول وهو من باب الخرافة والأسطورة التي خطتها أيدي اليهود.

القول الثاني: أن الإسرائيليات ما تسرب إلى كتب التفسير من اليهود أو النصارى،" وإن كان يدل بظاهرها على القصص الذي يُروى أصلاً عن مصادر يهودية، فإن علماء التفسير والحديث يستعملونه ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني"[٢].

كما أكد الدكتور محمد أبو شهبة على هذا المصدر الذي ترد إلينا منه الإسرائيليات قائلاً:" ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه والأساطير والخرافات والأباطيل التي افتروها أو تناقلوها عن غيرهم: كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها

---

١ د. أمال ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٦.

٢ د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٣ – ١٤.

باطل كثير، وإن كان فيها صدق ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين ففيها غثٌ كثير"[١].

ولا يُفهم أن الإمام أبو شهبة رجّح وحدوية المصدر الذي جاءت منه الإسرائيليات، كما ذهب أصحاب القول الأول، وإنما أرجع الأمر لمحدودية المادة الإسرائيلية في النصرانية، لهذا قال:" والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها في الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس وترقيق القلوب "[٢]، فأشار إلى أن أغلب المادة الإسرائيلية تنتمي للتراث اليهودي لكثرته وشهرته.

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي:" التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني؛ لأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه؛ وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه عن كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجا "[٣]، وإن كان كثير من العلماء يؤكد أن الإسرائيليات عبارة عن" أخبار منقولة عن بني إسرائيل من اليهود – وهو الأكثر– أو من النصارى"[٤].

---

١ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، القاهرة، ط٤، ١٩٨٨، ص ١٤.

٢ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٥.

٣ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، ٢٠١٠، ج١، ص١٦٥.

٤ محمد صالح العثيمين، أصول في التفسير، مكتبة السنة، عين شمس الشرقية، ط ١، ٢٠٠١، ص ٥٣.

حتى قال بعضهم:" الإسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام، أو تظاهرهم بالدخول فيه"[١]، لكن هذا المفهوم وإن كان محصوراً في اللون اليهودي والنصراني؛ إلا أنه حدد المادة القصصية والإخبارية التي تُنقل من أهل الكتاب وتتسرب إلى المجتمع الإسلامي.

القول الثالث: توسع فيه بعض المفسرين والمحدثين حيث " عدّوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار صنعوها بخبث نية وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين"[٢].

وفي تقديري أن القول الثالث جمع الرأيين السابقين، فهو أعم وأشمل وعندي هو الأصوب والأقرب للقبول، حيث أضاف أن الإسرائيليات ليس ما كان مصدرها يهودي فحسب، ولا تعني ما دسَّه النصارى فقط، بل هي كل ما تسرب إلى كتب التفسير من اليهودية والنصرانية، والديانات الوضعية وغيرها، بهدف تشويه صورة الإسلام، وإحداث الغبش الفكري على أهله.

المبحث الثاني: أقسام الإسرائيليات:

إذا تأملنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلك الداعية إلى جواز رواية الإسرائيليات، نجد العلماء من حيث قبولها أو ردها أو السكوت عنها قسّموها لأقسام ثلاث، أجملها العلاّمة ابن كثير في مقدمة تفسيره فقال:" الأحاديث الإسرائِيلِية تُذكَرُ

---

١ رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص ٧٣.

٢ د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٣ – ١٤.

للإستِشهادِ لا للاعتضادِ، فإنها على ثلاثة أقسام، أحدها: ما علمنا صِحَّتُهُ مما بأيدينا مما يشَهد لَهُ بالصدق فذلك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه"[١]، أما تفصيلها فلابد من تحديد المفهوم ثم الدليل من السنة النبوية، ومثال مما ورد في الشرع تأييداً أو معارضة، ثم الحكم في قبوله أو رده أو التوقف فيه.

الأول: المقبول.

من الإسرائيليات ما هو موافق للشرع الإسلامي وليس متعارضاً معه، وهو:" ما علمنا صحته مما بين أيدينا من القرآن والسنّة"[٢]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على قبول هذا النوع فقال: " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[٣].

ومثال ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبْر، ثم قرأ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٩.

٢ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٠٦.

٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢، برقم ٣٤٦١، ص ٨٥٧.

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾{سورة الزمر: ٦٧}[١]، فهذا مما يوافق الشرع الحنيف.

وكذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه "[٢]، والسر في ضحك النبي صلى الله عليه وسلم هو أن اعتقاد اليهودي موافق لما في المعتقد الإسلامي، وإلا لتحول هذا الضحك النبوي إلى غضب شديد، يعقبه ردة فعل قوية.

معايير القبول

ظهرت جهود جمع من المفسرين في "التنبيه على بطلان بعض ما روي من الإسرائيليات في كتب التفسير، كابن كثير والفخر الرازي والألوسي والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، وفارس هذه الحلبة هو الحافظ ابن كثير الذي تصدّى في كتابيه التفسير والتاريخ لنقد هذه الإسرائيليات وتحقيق القول فيها"[٣]، وقد ساهمت هذه الجهود في وضع ضوابط ومعايير لقبول الإسرائيليات، ومن ذلك ما قيّده الإمام الطبري في تفسيره، فبعد أن ذكر أقوال أهل العلم في كيفية استنزلال إبليس آدم وزوجته، قال:" وقد روينا هذه الأخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين

---

١ الحديث أخرجه البخاري برقم ٧٠١٣.

٢ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، برقم ٦١٥٥.

٣ رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص ٢١٨.

وغيرهم في صفة استزلال عدو الله لآدم وزوجته حتى أخرجهما، وأولى ذلك بالحق عندنا ما لكتاب الله موافقاً"[١]، وتُعدُّ هذه الضوابط من أهم الشروط لقبول الإسرائيليات.

وقد لخّصها صاحب كتاب تفسير القرآن بالإسرائيليات حيث ذكر أن من الشروط:" موافقة كتاب الله، وألا يدفع الخبر الإسرائيلي خبر عن المعصوم، وأن يكون تفسيرها موافقاً للغة العرب، وأن يتتابع عليه قول الصحابة والتابعين، وأن يكون من الأمور الممكنة وليس المستحيلة"[٢].

ومن كل ما سبق يمكننا القول أن هذا القسم من الإسرائيليات تجوز روايته من باب الاستشهاد به وإقامة الحجة على اليهود والنصارى، وأيضاً على جواز الرواية تُحمل الأدلة الصحيحة الداعية إلى إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب.

الثاني: المردود.

المردود من الإسرائيليات التي تُخالف الشرع الحنيف، ولا يُصدِّقها أيضاً العقل السليم، وهو" ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه"[٣]، وقد جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن هذا القسم قوله: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرءونه محضاً لم يُشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا:

---

١ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د.ت، ج ١، ص ٥٣١.

٢ د. مساعد الطيار، تفسير القرآن بالإسرائيليات نظرة تقويمية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، الرياض، العدد الرابع عشر، ذو الحجة ١٤٣٣هـ، ص ٣٩، ٤٠.

٣ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٠٧.

هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم "[١].

وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما تأكيد على أن اليهود والنصارى حرفوا كتبهم ونسبوهما إلى الله تعالى ليشتروا به عرَض الدنيا الزائل، وفيه أيضاً الحث على ترك هذا الباطل ورده والاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وربما يبدو لدى البعض ما يوهم التعارض بين قول ابن عباس السابق وحديث النبي صلى الله عليه وسلم" حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج "، لكن المدقق في الأمر بقليل نظر يعرف أن مقصود حديث النبي صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فيما هو مُستحسنٌ عندنا، أما ما علم كذبه فلابد من رده.

ولو طالعنا بعض كتب التفسير في قصة الذبيح لوجدنا عجباً، فلقد جاء في تفسير مقاتل بن سليمان أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام[٢]، لكنه لم يُعقّب على كذبه، بل ذكره وكأنه يتبنّى هذا القول، وهذا يتفق مع ما جاء في سفر التكوين من: أن الربَّ أراد أن يمتحن إبراهيم فأمره بأخذ ابنه الوحيد إسحاق ليذبحه، ولما همَّ إبراهيم بفعل ما أُمِرَ به نهاه ملاك الرب جبرائيل عن تنفيذ الأمر لخوف إبراهيم من ربه، فنظر إبراهيم فوجد كبشًا أقرنًا في الغابة، فذبحه فداءً عن ابنه[٣].

---

١ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، برقم ٧٣٦٣.

٢ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق د. عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ج ٣، ص ٦١٤.

٣ راجع سفر التكوين [٢٢:١- ١٣].

وانتقد صاحب نظم الدرر بعد ما ذكر هذا النص الكتابي قائلاً:" إن كلامهم ينقض بعضه بعضًا، وذلك أنه قال في هذه القصة انطلق بابنك الوحيد، وكرر وصفه بالوحيد في غير موضع، وهذا الوصف إنما يكون حقيقة لإسماعيل عليه السلام وهو دون البلوغ، أما إسحاق عليه السلام فلم يكن وحيدًا ساعة من الدهر، بل ولد وإسماعيل عليه السلام ابن ثلاث عشرة سنة ونيف بشهادة ما عندهم من التوراة "[١].

وإذا كان العهد القديم يؤكد أن الذبيح هو إسحاق، فذلك دليل على تحريفه من ناحية، وإظهار ما في قلوب كُتّابه من حقد وحسد للعرب من ناحية أخرى.

ويؤيد ذلك سؤال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه: أيُّ ابني إبراهيم عليه السلام أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل يا أمير المؤمنين! إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمَر الله بذبحه، ويزعمون أنه أبوهم[٢].

وهؤلاء يصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾{سورة البقرة: ١٠٩}.

١ البقاعي، نظم الدرر، ج ١٦، ص ٢٧٣.

٢ البقاعي، نظم الدرر، ج ١٦، ص ٢٧٥.

وهذا القسم المردود حكمه مأخوذ منه كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال "[١]، أو " مقترناً ببيان كذبه، وأنه مما حرّفوه وبدلوه"[٢].

الثالث: المسكوت عنه.

هو "ما سكت عنه شرعنا، وليس فيه ما يؤيده أو يفنده"[٣]، وربما كان محتملًا، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه" كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [٤]، وهذا القسم" غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني.. كذكر أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وتعيين الشجرة التي أخذت منها عصا موسى، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم أو دينهم "[٥]، وهذا ما دفع صاحب كتاب الفوز الكبير في أصول التفسير ليقول: " النقل عن بني إسرائيل دسيسة

---

١ ابن كثير، البداية والنهاية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٥، ج ١، ص ٩.

٢ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٠٧.

٣ د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٣٧.

٤ البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قولوا آمنا بالله، ص ١٠٩٩، برقم ٤٤٨٥.

٥ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٠٨.

دخلت في ديننا بعد ما كانت قاعدة (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) مقررة "[١]

والحق أن الله تعالى أغنانا بكتابه عن سائر الكتب وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عن سائر الشرائع، فلا حاجة لنا فيما في أيدي أهل الكتاب مما وقع فيه التحريف والتبديل، لهذا فحكم هذا القسم أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، والأولى ألا نضيع فيه أوقاتنا، ولا نشغل فيه أنفسنا؛ إذ إنه علم لا ينفع وجهل لا يضر.

المبحث الثالث: أسباب تسلل الإسرائيليات إلى كتب التفسير

المتتبع لتسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير من العلماء المدققين يتبين له أن ذلك مرده لعدة أسباب، منها:

- الاحتكاك باليهود في شبه الجزيرة العربية

لا شك أنّ " الوجود اليهودي في شبه الجزيرة كان له أثر ثقافي على العرب فيما قبل الإسلام، كما كان للعرب في الجاهلية رحلاتهم شرقاً وغرباً، وسجل القرآن الكريم إحداها، وهي رحلة قريش شتاءً إلى اليمن وصيفاً إلى الشام، وفي كل من اليمن والشام تمركز أهل الكتاب وبخاصة اليهود منهم، ولا شك أنه كانت هناك اتصالات ولقاءات مختلفة بين العرب وهؤلاء مما يفتح أبواب التأثر والتلقي، حتى وإن كان ذلك بصورة محدودة"[٢]، أكد على ذلك الدكتور الذهبي، حيث قال:"إن استمداد العرب من الثقافة اليهودية حينئذ كان محدوداً وضيقاً كذلك؛ لأن الأفق الثقافي للعرب قبل الإسلام لا

---

١ أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بولي الله الدهلوي)، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ، سوريا، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٣١.

٢ د. أمال ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ص ٢٧.

مهد لتلاحم ثقافي واسع ولا يشجع عليه"[١]، وعليه فإنّ " تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية في الجاهلية"[٢]، لكن بالرغم من محدودية هذا الاستمداد الثقافي إلا أن أحداً لا يمكنه إنكار أنه أحد روافد الإسرائيليات إلى التراث التفسيري.

– اللقاءات الحوارية مع اليهود.

من أسباب تسلل الإسرائيليات لتفسير القرآن الكريم جملة من اللقاءات الحوارية التي عقدها اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم، أو مع الصحابة الكرام، تحمل تبادلاً ثقافياً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم "يلقى اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه، وكانوا يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُحَكّمُوه فيما شجر بينهم، أو ليسألوه عن بعض ما يعنّ لهم السؤال عنه إما تحدياً وتعجيزاً، وإما امتحاناً واختباراً لصدق نبوته، وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من ذلك"[٣].

وتأمل هذا الحوار الذي تم مع يهود عصره صلى الله عليه وسلم حين ادعوا أنه لم يقتدِ بسنة إبراهيم عليه السلام في تحريم لحوم الإبل على نفسه، وكأنهم قالوا: يا محمد تَدّعي أنّك على ملّته وتخالف شريعته، فقال تعالى لرسولهصلى الله عليه وسلم:﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾{سورة آل عمران: ٩٣}، أي:"﴿ قُلْ ﴾ لليهود ﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ﴾ لتدل لكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما ادّعيتُموه،

١ د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٦.

٢ المرجع السابق، ص ١٥.

٣ د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٦.

فلم يأتوا بها، فبان كذبهم وافتضحوا فضيحة لا مثيل لها في الدنيا"[١]، فالله تعالى أثبت كذبهم، لأن الذي حرّم على نفسه لحم الإبل هو يعقوب عليه السلام وليس إبراهيم، وكان هذا قبل نزول التوراة.

أما الهدف من حوارات المسلمين مع أهل الكتاب فكان " لعرض الدين الجديد عليهم ودعوتهم إليه، وقد سجلت السور المدنية في القرآن الكريم جوانب عديدة من تلك المناظرات التي تمّت بين الجانبين وما كان يدور فيها من عرض لآراء وتصديق أو تفنيد"[٢]، وكانت أيضاً تحمل طابع الإفحام.

هذه الحوارات كثيرة جداً، منها ما حصل مع عمر رضي الله عنه حيث قال:" كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة وموافقة التوراة القرآن، فقالوا: يا عمر، ما أحد أحب إلينا منك، قلت: ولم؟ قالوا: لأنك تأتينا وتغشانا، قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضًا، وموافقة التوراة القرآن، وموافقة القرآن التوراة، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري، فقالوا: إن هذا صاحبك، فقم إليه، فالتفتُّ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة من المدينة، فأقبلت عليهم، فقلت: أنشدكم الله وما نزل عليكم من كتاب، أتعلمون أنه رسول الله؟ قال سيدهم: نعلم أنه رسول الله، ثم قال عمر: تعلمون أنه رسول الله ولم تتبعوه، فأخبروه أن لهم عدوا من الملائكة هو جبريل ولهم سلما هو ميكائيل، فتركهم عمر واستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا ابن الخطاب ألا أقرؤك آيات، فقرأ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ

---

١ برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٥، ص ٣

٢ د. أمال ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ص ٢٧.

عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾، حتى بلغ: ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾[١]، فقال عمر رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر، ثم قال عمر: فلقد رأيتني في دين الله أشد من حجر[٢].

ولعل هذا اللقاء الحواري بين عمر رضي الله عنه واليهود، – بل إتيانه إليهم عند دراستهم للتوراة، وعدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم عليه إعجابه بموافقة القرآن للتوراة والعكس–، دليل على الأرضية العلمية الراسخة التي يتمتع بها عمر رضي الله عنه.

وفي الحوار ملمح غاية في الأهمية وهو: محاولات اليهود لاستمالته إليهم مع معرفتهم قوته في الحق، وهذا ناتج عن يقينهم أن انضمام مثل هذا الجبل الشامخ لدينهم سيحقق مكسباً كبيراً، لكنّه أحرز تفوقاً عليهم، حيث أنتج الحوار اعترافهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

– إسلام بعض أهل الكتاب

العمدة في تسلل الإسرائيليات إلى كتب التفسير هو إسلام بعض أهل الكتاب، لهذا فقد أرجع ابن خلدون في مقدمته سبب جمع المتقدمين في كتبهم ومنقولاتهم المشتملة على الغث والسّمين والمقبول والمردود إلى" أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأُميَّة، وإذا تشوقوا إلى معرفة مما تتشوق إليه

---

١ والآيات بتمامها" قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾{سورة البقرة: ٩٧ – ٩٩}.

٢ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ٣٢.

النفوس البَشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومَنْ تبع دينهم من النصارى"[١].

وحين نزل القرآن الكريم و" تعرّض لكثير من أخبار بني إسرائيل ووقائعهم مع أنبيائهم، اكتفى في ذلك بمواطن الاعتبار والاتعاظ، وما يهم الأمة المحمدية من تلك القصص دون التعرض لتفاصيلها وجزئيات وقائعها"[٢].

وسكوت القرآن الكريم عن سرد هذه التفاصيل، إضافة إلى عدم التوسع النبوي لأحداثها، جعل كثيراً من الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين يتشوقون لمعرفة دقائق أخبارها.

ولما كانت الكتب السابقة على القرآن غارقة في تفصيلات الأخبار والقصص والأحكام؛ وقد اختلط فيها الحق الرباني بالزيف الشيطاني، ترك بعض علماء اليهود المنصفين ما هم عليه من معتقد فاسد ودخلوا في الإسلام، ليقينهم التام بأن القرآن هو الحق الذي جاء من عند الله تعالى، ولم تنله يد بشرية بالتخريب والتحريف"، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الملاحم وغير ذلك، وهؤلاء مثل: كعب

---

١ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٧٥.

٢ د.عبد القادر محمد الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط٢، ٢٠١٢، ص ٥٦٤، ٥٦٥.

الأحبار[١]، ووهب بن منبه[٢]، وعبد الله بن سلام[٣]، وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يُرجع إلى الأحكام فيتُحرَّى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسِّرون في مثل ذلك، وملؤوا الكتب بهذه المنقولات"[٤]، والخطر أنه" زُجّ في التفسير بكثير من الإسرائيليات دون تحرٍ ونقد" [٥]، فاشتملت على الغث والسمين.

وقد دافع صاحب كتاب مناهل العرفان عن أحبار اليهود الذين أسلموا قائلاً:" إياك أن تفهم من عبارة ابن خلدون ما يجعلك تخوض مع الخائضين في هؤلاء الأعلام الثلاثة:عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، فقد ضل بعض الأدباء والمؤرخين من كبار الكُتّاب في هذا العصر حين زعموا ذلك، حتى سلكوا عبد الله بن

---

١ هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، وكان خبيراً بكتب اليهود، يعرف صحيحها من باطلها، توفى بحمص في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ج٣، ص٤٨٩ وما بعدها.

٢ هو وهب بن مُنبِّه بن كامل اليماني الصنعاني، ولد في زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين، وكان ذا علم غزير في الإسرائيليات، توفى سنة ١١٠هـ، وقيل ١١٤ه.انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٤٤ وما بعدها.

٣ هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، كان عالماً بالتوراة والقرآن فامتزجت فيه الثقافتين اليهودية والإسلامية، شهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح بيت المقدس، ومات بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2،ص413 وما بعدها.

٤ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٧٥.

٥ فهد بن عبد الرحمن الرومي، المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٢٠.

سلام الصحابي الجليل في سلك واحد مع عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث الذي تظاهر بالإسلام ثم كاد له شر الكيد"[١].

وإذا كانت أيام الصحابة هي البدايات الأولى في دخول الإسرائيليات في كتب التفسير، فالحق أنّ هذا الجيل كان يأخذ الإسرائيليات ممن أسلم من أحبار يهود، لكن على نُدْرَة، فكانوا يسألونهم عن بعض القضايا التي تتشابه مع القرآن الكريم؛ ليزداد يقينهم بصدقه، ولا "يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ومقدار سفينة نوح ونوع خشبها، واسم الغلام الذي قتله الخضر"[٢] ونوع شجرة عصا موسى عليه السلام، وغير ذلك مما ليس فيه كبير مصلحة ولا ينبني عليه عمل، ثم إن الصحابة الكرام خريجو مدرسة النبوة، اهتماماتهم أرقى من أن تكون كذلك.

– تَوسُع بعض التابعين في الرواية عن بني إسرائيل.

إن جيل التابعين منهم من توسع في النقل عن بني إسرائيل، فقد كان سعيد بن جبير رحمه الله[٣]" من أكثر مفسري مكة توسعاً في ذلك"[١]، وأبو العالية [٢]" كان عدد

---

١ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط ٣، ج ٢، ص ٢٦.

٢ د.محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٧٠.

٣ هو: أبو عبد الله، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، تلميذ ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج بن يوسف الثقفي سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٣٧١– ٣٧٤.

المنقول عنه كثيراً إذا نُسِب إلى مجموع تفسيره، وإن كان غالب ما جاء عنه في هذا من الروايات المقبوله، وحرص في نقلها على الاختصار"[٣]، كما كان إسماعيل السُّـــدِّي[٤]" أكثر التابعين على الإطلاق في اتخاذ رواية أهل الكتاب مصدراً ومعتمداً في التفسير، ولم يشاركه بل لم يقاربه أحدٌ في هذا، والعجيب من أمر السدي أنـــه عـــاش واســـتقر في الكوفة التي كانت من أكثر المدارس حذراً وبُعداً عن روايات بني إســـرائيل، ولكنـــه خالف منهج تلك المدرسة، وأورد العديد من الروايات المنكرة، وكان من أكثر التابعين تساهلاً في ذلك"[٥].

ويمكننا القول أن عصر التابعين حصل فيه الإفراط في أخذ الإسرائيليات لدرجة "جعلتهم لا يردون قولًا، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يـــروى لهـــم، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منـــها نوعا من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين مـــن حشـــوا

---

١ د.محمد بن عبد الله الخضيري، تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ٢٠١٦، ج ١، ص ١٥٤.

٢ هو: رُفَيْعُ بن مهران البصري، الفقيه المقرئ، مولى امرأة من بني رياح– بطن من تميم–، قال عنه أبو بكر بن أبي داود: ليس أحدٌ بعد الصحابة أعلم القرآن من أبي العالية، ثم سعيد بن جبير ، توفى على الصحيح سنة ٩٣ هـــ. انظر محمد بن أحمد الدمشقي الصالحي، طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي ، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦، ج ١، ص ١٢٣– ١٢٤.

٣ د.محمد بن عبد الله الخضيري، تفسير التابعين،ج ١، ص ٣١٤.

٤ هو: إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، أحد موالي قريش، أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل فقال عنه ثقه، ومرّ به إبراهيم النخعي وهو يفسر القرآن، فقال: إنه ليفسر تفسير القوم، وتوفى السدي سنة ١٢٧ هـــ. انظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

٥ د.محمد بن عبد الله الخضيري، تفسير التابعين،ج ١، ص ٣٢٦.

كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها"[١].

ومن باب الإنصاف نقول: إن النقل عن بني إسرائيل لم يكن من شيمة جيل التابعين بأسره، وإنما كان بعضهم ينكرون النقل ومنهم من كان نقله ضعيفاً.

هذه بعض الأسباب التي جعلت الإسرايليات تعرف طريقها لكتب التفسير، لكن الله تعالى قيّض لكتابه رجالاً ينافحون عنه، ويتصدون لمن أراده بسوء، ويقفون حجر عثرة أمام تحقيق أحلام أعداء الإسلام وخصومه، مبتغين بذلك وجه الله تعالى.

المبحث الرابع: آثار الإسرائيليات:

المتأمل في دراسة التراث التفسيري للقرآن الكريم يدرك أنها لا تخلو من تسرب الإسرائيليات إليها، متفاوتةً في ذلك قلة أو كثرة، كما يلمس الجهود المتضافرة لكثير من المفسرين في التنبيه عليها إيجابًا أو سلبًا، لهذا فإن للإسرائيليات آثاراً إيجابية، وأخرى سلبية نبرزها فيما يلي:

أولًا: الآثار الإيجابية.

لم أجد أحداً من العلماء تطرق لآثار الإسرائيليات الإيجابية، لكني أرى بناء على التقسيم السابق للإسرائيليات من حيث المقبول منها والمردود، وبما يتوافق مع المنظور الإسلامي والنصوص الشرعية الآمرة بالقبول من عدمه أن للإسرايليات آثاراً إيجابية تتمثل في:

- التمييز بين الحق والباطل:

---

١ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص ١٧٦ – ١٧٧.

إن إيراد الإسرائيليات في كتب التفسير يخدم فكرة التمييز بين ما هو حق وما هو باطل، سواء نبه عليها المفسر أم لا، لأن الحق في أي مسألة أبلج وبخاصة إذا عُضدد بالأدلة الشرعية، ومع امتلاك المسلم لأداوات التمييز فإنه يستطيع إيجاد الفارق بين الغث والسمين، ومعرفة الحق الذي يوافق شرعنا أو الباطل الذي يخالفه، ليزداد المسلم إيماناً على إيمانه.

ولا شك أن كثيراً من مسائل الاعتقاد في ذات الإله سبحانه وتعالى لا تحتاج كبير نظر إذا ما وجد في التفسير ما يخالف إطار التنزيه التام عن النقائص والمعايب.

- الإنصاف مع المخالف في الدين.

إن مجرد مطالعة هذا التراث الوافد من الكتب السابقة على القرآن الكريم، وإيراده في كتب التفسير مع التنبيه على مصدره، لهو من باب الإنصاف في عرض أفكار ومسلمات اعتقدها أصحاب الديانات الأخرى، فإننا نوقن أن بها بعض بقايا الوحي الصحيح كما نعتقد أنها حُرّفت، لكن أنكارها كلية فيه خطر قد يجر لإنكار حق وتكذيبه، لهذا فإن التعامل الإسلامي مع الإسرائيليات قائم على الإنصاف.

ولو دقننا النظر في واقع المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة حين حصل التعايش بين المسلمين واليهود، لأدركنا أن إذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام رضي الله عنهم أن يحدثوا عن بني إسرائيل بما عندهم من الحق، حيث قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[١]، كان بهدف ترغيبهم للدخول في الإسلام.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١، ص ٨٥٧.

وهذه المعايشة جعلت المسلمين يتعرفون على كتب أهل الكتاب عن كثب؛ ويطلعون على ما بها من حق وباطل، فازادوا يقينًا أنهم على الحق ، فعلت همهم في الدعوة للإسلام، وقويت حجتهم، وكان من بركات هذا أن أسلم كبار أحبار اليهود.

إن الإسلام يربي أتباعه على الالتزام بالمنهج الرباني في قبول الآخر والتعايش معه داخل إطار العدل والإنصاف والحق، مراعياً بذلك فن التعامل مع المخالف، دون التفريط في الثوابت الدينية.

ثانيًا: الآثار السلبية.

رغم بعض الجوانب الإيجابية في الإسرائيليات كما أسلفت؛ إلا أنها لم تخل من آثار سلبية لاشتمالها على أخبار كادت أن تُفسِد على المسلمين دينهم، وبعض المسلمين من غير المتخصصين تتوق نفوسهم لمعرفة هذه الأخبار والوقائع التي تتضمن عنصر التشويق، وتزيد آيات القرآن الكريم وضوحاً بالنسبة لهم، من هذه الآثار:

- الصد عن الإسلام أو الشك في منهجه

لا شك أن في الإسلام بمنهجه من الرُقيّ ما لا يخفى على ذي لُبٍّ، ولهذا ترى المستشرقين الذين عكفوا على دراسة علومه بقصد التشوية والطعن قد أسلم كثير منهم بعد رحلة الدراسة المتجردة، لكن" بعض ما اشتملت عليه الإسرائيليات من الخرافات والأباطيل تصد أي إنسان – مهما بلغ من التسامح في هذا العصر – عن الدخول في الإسلام، أو تحمله على أن ينظر إليه نظرة الشك والارتياب"[١]، وإذا كانت هذه المادة الإسرائيلية الموجودة في كتب التفسير تعمل على توجيه سهام النقد للإسلام وتمنع من الدخول فيه، فلابد من تنقية التراث التفسيري منه.

---

١ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ٩٤.

– تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم.

من الآثار السلبية للإسرائيليات أنها زادت من مساحة وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ واتخذ القُصّاص منها مادة خصبة لتشويه صورة الإسلام عن قصد، وهذا ما دفع العلاّمة أبو شهبة ليقول:" ولو أن هذه الإسرائيليات – ولا سيما المكذوب والباطل منها – وقف بها عند قائليها، لكان الأمر محتملاً بعض الشيء، لكن الشناعة وكبر الإثم: أن بعض الزنادقة والوضّاعين وضعفاء الإيمان قد رفعوا هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم، ونسبوها إليه صراحة هنا الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام، والتجني الآثم على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن نسبة الغلط أو الخطأ أو الكذب إلى الراوي _ أياً كان_ أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[١].

ومكمن الخطر الذي " زاد الأمر سوءًا أن كثيرًا ممن ليسوا من أهل الحديث؛ لم ينتبهوا إلى هذه الإسرائيليات واغتروا بها، وأوردوها في احتجاجاتهم ومناظراتهم وتآليفهم، وهذا أمر بالغ الخطورة على الدين وأهله، لأن جمهور الناس وعامتهم تقبَّلوا هذه الإسرائيليات على أنها صحيحة لا غُبار عليها"[٢]، فكانت إحدى وسائل الطعن في الدين تلقفتها أقلام مأجورة راحت تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتوهم الناس بشرعيتها رغم مخالفتها للواقع، وهي لا تنسجم مع القرآن الكريم الذي يُعد ناطقًا رسميًّا باسم الإسلام.

– فقدان الثقة في التراث التفسيري كله

---

١ د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ٩٤.

٢ رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص ٤٢٨ – ٤٢٩.

وجود الإسرائيليات في كتب التفسير" أعطاها شكلا من أشكال المصداقية لدى العقل المسلم، والذي قبلها كما هي دون أن يشك في صحتها وبنوع من التسليم الديني؛ لأنها واردة في كتابات إسلامية يجلها ويحترمها "[١]، كما ساعد على انتشارها ضعف دراسة السنة، والجهل بأحوال الرواة، فبقيت راسخة في النفوس[٢]، وهذان عاملان تسببا عند كثير ممن لا دراية لهم في فقدان الثقة في الترث التفسيري للقرآن الكريم.

ومما سبق نخلص إلى أن الإسرائيليات أحدثت أزمة كبيرة في الأوساط الإسلامية، نظراً لآثارها التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً، لكن الله تعالى قيَّضَ لكتابه رجالًا ينافحون عنه، ويُنقُّون تراثه التفسيري من هذا الدخيل الذي اعتراه، لينبهوا على معظم ما نقلوه، وإلا لعصفت هذه الأزمة بالتراث كله.

---

١ د. محمد خليفة حسن ، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.، ١٩٩٨، ص ٧٥.

٢ رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص ٤٢٩.

المصادر والمراجع

١- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤.

٢- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٥.

٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢.

٥- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

٦- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٧- أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨.

٨- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٠٣.

٩- أحمد بن عبد الرحيم (المعروف بولي الله الدهلوي)، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ، سوريا، ط١، ٢٠٠٨.

١٠- د. أمال ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.

١١- برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦.

١٢- بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة، القاهرة، طبعة ١٤، ٢٠٠١.

١٣- رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم بدمشق، ط١، ١٩٧٠.

١٤- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢.

١٥- د.عبد القادر محمد الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط٢، ٢٠١٢.

١٦- عماد عطية عبد الرازق، الأيام المقدسة في الديانات السماوية الثلاث، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، ٢٠١٦.

١٧- فهد بن عبد الرحمن الرومي، المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط ٢، ١٩٨٣.

١٨- د.محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، القاهرة، ط٤، ١٩٨٨.

١٩- محمد بن أحمد الدمشقي الصالحي، طبقات علماء الحديث،تحقيق أكرم البوشي ، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦

٢٠- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢.

٢١- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د.ت.

٢٢- د.محمد بن عبد الله الخضيري، تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ٢٠١٦.

٢٣- د. محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦.

٢٤- د.محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، ٢٠١٠.

٢٥- د. محمد خليفة حسن ، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.، ١٩٩٨.

٢٦- محمد صالح العثيمين، أصول في التفسير، مكتبة السنة، عين شمس الشرقية، ط ١، ٢٠٠١.

٢٧- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط ٣.

٢٨- مساعد الطيار، تفسير القرآن بالإسرائيليات نظرة تقويمية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، الرياض، العدد الرابع عشر، ذو الحجة ١٤٣٣هـ.

٢٩- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق د. عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.